الفصل السابع

«الأغلبية الأخلاقية»
فى الليبرالية الديمقراطية
جيش الله لإخضاع القيصر

كان الاستراتيچيون من الجمهوريين يعتقدون أن قضية الإجهاض من بين مجموعة قيم الأسرة، هى التى يمكن أن توحد الأصوليين عبر الخطوط الإيمانية والطائفية المختلفة والتى تشمل الإيڤانجليكيين، والأصوليين البروتستانت، واليهود والكاثوليك. يمكن للكاثوليك الذين صوتوا بشكل معتاد للديمقراطيين - يمكن الآن وبشكل خاص - أن ينجذبوا إلى صفوف الحزب الجمهورى بسبب البرنامج الانتخابى العنيف المعارض للإجهاض. ولهذا ففى مايو ١٩٧٩م، قابل الاستراتيچيون المحافظون فى الحزب الجمهورى چيرى فالويل فى مدينته لينشبرج، ڤيرچينيا، لمشاركته الخطة ولكى يطلبوا منه حث وتنظيم وتعبئة الإيڤانجليكيين سياسيًا؛ دعمًا للأجندة الراديكالية الجديدة للحزب الجمهورى. وافق فالويل. وفى يونيه ١٩٧٩م أعلن تأسيس حركة بالاتحاد مع منظمة تحمل اسم «الأغلبية الأخلاقية - MM . Moral Majority»، وكان فالويل قائدا لهذه الحركة. قام فالويل بوضع قائمة بأهداف (الأغلبية الأخلاقية) كما يلى[١٧٩]: «. . . ممارسة نفوذ ملحوظ فى الاتجاه الأخلاقى والروحانى لبلادنا من خلال: (أ) تعبئة عامة الشعب من الأمريكيين الأخلاقيين فى صوت واحد واضح ومؤثر، (ب) إعلام الأغلبية الأخلاقية بما يجرى وراء ظهورهم فى الكونجرس والهيئات التشريعية الرسمية عبر البلاد، (ج) ممارسة الضغط بشكل مكثف فى واشنطن لهزيمة الجناح اليسارى، وقوانين الرفاهة الاجتماعية والتى ستؤدى إلى تآكل حريتنا، (د) دفع التشريعات الإيجابية مثل تلك التى تدعو لتأسيس وكالة حماية الأسرة، والتى ستضمن بناء أمريكا القوية، (هـ) مساعدة الأغلبية الأخلاقية فى المجتمعات المحلية على محاربة: الدعارة، الشذوذ الجنسى، اللاأخلاقية فى الكتب المدرسية بالإضافة إلى قضايا أخرى تواجه كل فرد منّا.

قامت الأغلبية الأخلاقية بتعريف نفسها بالكلمات التالية: «مؤسسة الأغلبية الأخلاقية تتشكل من الملايين من الأمريكيين، بما فيهم القساوسة والكهنة والحاخامات، القلقين بشدة بشأن الانحدار الأخلاقى لأمتنا، والذين أصابهم الضجر بشأن الطريقة التى يدمر بها أنصار الفلسفة الإنسانية من الأخلاقيين العلمانيين والليبراليين الآخرين الأسرة التقليدية والقيم الأخلاقية التى بنيت عليها أمتنا»[١٨٠]. كان هدف فالويل الرئيسى هو التعبئة السياسية للإيڤانجليكيين من خلال البرنامج الانتخابى للأغلبية الأخلاقية، ولكنه واجه مشكلة حشهم على ممارسة النشاط السياسى، حيث انسحبوا منذ هزيمتهم فى محاكمة سكوپس من النشاط الاجتماعى ـ السياسى وركزوا بشكل شامل على الورع والعبادة. حينما أعلن فالويل عن تكوين الأغلبية الأخلاقية، قوبل بمعارضة لهذا القرار من بين أتباعه أنفسهم. لقد أجاب بأن ذلك التدهور الذى أصاب الثقافة الأمريكية هو الذى أجبره على أن يقوم بعمل شىء ما. لقد حدد موقفه فى هذه العبارة: «.. إن لم يكن أنا، فمن إذن؟ وإن لم يكن الآن، فمتى إذن؟»[١٨١]. وهكذا حدد فالويل الإجهاض والطلاق والفلسفة الإنسانية العلمانية كأهداف معادية لحركة الأغلبية الأخلاقية.

بعد تأسيس الحركة، خلال الفترة المتبقية حتى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠م، كان فالويل فى حالة تنقل دائم، حيث سافر لأكثر من ٣٠٠,٠٠٠ ميل مخاطبًا تجمعات الجماهير وتعبئة رعاة الأبرشيات لتنشيط وحث جموع المصلين. حث فالويل كل مجتمع على تأسيس فروع محلية للأغلبية الأخلاقية واستخدام كنائسهم لتسجيل الأصوات الانتخابية. لقد تم إمداد تلك الأقسام المحلية بالمعلومات حول الإجهاض وقضايا أخرى ذات أهمية بالنسبة لهم. وطبقًا لسياسة فالويل، حيث إن الأغلبية الأخلاقية هى مؤسسة سياسية، وليست دينية، فإن أبوابها ستفتح للجميع، سواء كانوا يهودا أو من الكاثوليك الرومان أو البروتستانت أو المورمون، وحتى غير المؤمنين الذين يتفقون فى الرأى فى قضايا الأسرة والمجتمع والبلاد، مثل معارضة الإجهاض والدفاع القومى القوى، وتأييد إسرائيل. لقد سبب ذلك الكثير من الاضطراب بين الإيڤانجليكيين، فقد كان من الصعب عليهم أن يدركوا أنه حان الوقت لكى يعملوا مع اليهود والكاثوليك الرومان.

ولإقناعهم بالعمل مع أفراد من طوائف ومعتقدات دينية أخرى، استخدم فالويل الأصولى مفهوم «حالة الاشتراك الفعلى فى الحرب» والتى قام بتطويرها فرانسيس شافير، الزعيم الأيديولوچى الأصولى فى القرن العشرين. ويعنى مفهوم الاشتراك الفعلى فى الحرب حالة يتوحد فيها مجموعة من الأفراد مع بعضهم «. . مع أفراد آخرين قد يختلفون معهم أيديولوچيا أو يختلفون بشأن قضايا رئيسية، ولكن يجمعهم الرغبة فى القتال فى صف واحد للوصول إلى أهداف معينة. بالنسبة للسياسيين الكبار، كانت تلك فكرة قديمة، أما بالنسبة للأصوليين الذين اعتادوا على تمزيق العلاقات بسبب أتفه الخلافات، كان هذا الأمر ثوريًا»[١٨٢]. إن تحرك فالويل إلى المجال السياسى من خلال الأغلبية الأخلاقية لم يأت من فراغ. فى الوقت ذاته تقريبًا كان هناك إيڤانجليكون آخرون من هؤلاء الذين يؤدون الصلاة عبر التليفزيون مثل تشارلز ستانلى، د. جيمس كنيدى، وآخرون كانوا يستهدفون أيضًا الخطر الأخلاقى الذى يكمن أمام أمريكا. ومع حلول ربيع عام ١٩٧٩م، أرسل ستانلى راعى الكنيسة المعمدانية الأولى فى أتلانتا إلى مئات الآلاف من المشاهدين شريط ڤيديو لموعظته، «انهضى يا أمريكا، والذى حث فيه المسيحيين لأن يكونوا أكثر نشاطًا فى المجال السياسى»[١٨٣].

بدأ العديد من رعاة الأبرشيات الآخرين أيضًا فى تضمين المضامين السياسية فى مواعظهم. ناشط راديكالى آخر يدعى إدوارد ماكاتير وإدراكًا منه أنه من أجل تزييف وحدة متماسكة من المفاهيم والأفعال بين الأصوليين من مختلف الطوائف والأديان، قام بتأسيس ورئاسة منظمة تحمل اسم «المائدة الدينية المستديرة»[١٨٤]. لم تؤسس فقط العديد من المنظمات لنزع السدادة عن الطاقة الجارفة للبركان المخبوء داخل الحركة الأصولية المسيحية، ولكن كانت تلك المؤسسات أيضًا مكملة بعضها لبعض ومتصلة فيما بينها، بحيث تخلق تعاونًا فى فعالية الحركة الأصولية. بين ثلاثتهم، خلق ڤيجوريه وويريتش وفيليپس عددًا من المنظمات شديدة الترابط، لدرجة أن أى خريطة توضيحية لهذه المنظمات سوف تبدو مثل إخطبوط يصافح نفسه بيديه»[١٨٥]. لقد كان هناك بالفعل جماعة أصولية مسيحية نشطة فى الساحل الغربى أطلقت على نفسها «الصوت المسيحى». لقد ادعت تلك الجماعة أنها تعمل فى سبيل «أغلبية مسيحية فى

إطار ديمقراطية مسيحية». ومن وقت لآخر، كانت هذه الجماعة تصدر بطاقات درجات طبقًا للكتاب المقدس. كانت تلك البطاقات تُقَيِّم المشرعين طبقًا لمواقفهم من بعض القضايا التى تهم الأصوليين والمحافظين المسيحيين[١٨٦]. ولكن حينما طلب من فالويل تأسيس منظمة جديدة وقيادتها، قام الجناح المحافظ للحزب الجمهورى بتحرك استراتيجى محسوب بدقة. كان الهدف هو استخدام الأغلبية الأخلاقية لإيقاظ وتحريك تنظيم صفوف المحافظين والأصوليين الإيڤانجليكيين دعمًا للبرنامج الانتخابى للحزب الجمهورى المناصر للرأسمالية، والذى يدعو لاقتصاد السوق الحر، بعيدا عن التدخل الحكومى وتنظيماته وقوانينه، وخفض الضرائب، وموقف مناصر للتصنيع- حدث كل ذلك بينما كان الأصوليون يتجمعون فى بنك صوتى للتصويت لصالح أجندتهم الأخلاقية.

حيث إن الأصوليين المخلصين دينيًا كانوا ملتزمين بكنيستهم، كانت هناك حاجة ملحة لضمان الدخول الإيجابى لرعاة الكنائس فى السياسة. وبمجرد أن تم تنشيط الرعاة ودمجهم، فإن أعضاء كنائسهم سيتبعونهم بشكل تلقائى. ولهذا، فإن المهمة الحقيقية لفالويل كانت تنصب فى تعبئة الرعاة. كان لفالويل صورة ذهنية طيبة لدى الناس عبر البلاد. «منذ عام ١٩٧٦م وهو يحمل ذكرى ميلاد منظمته، كان فالويل يعقد اجتماعات حاشدة تحت شعار (لنحب أمريكا) على درجات سلم مبانى البرلمان عبر البلاد»[١٨٧]. كان يحضر تلك التجمعات، حيث ينشد الطلبة الإيڤانجليكيون الأغانى الدينية ـ الوطنية، موظفو المدينة وعادة ما يحضرها آلاف المواطنين. وفى نهاية تلك التجمعات الحاشدة كان هناك دومًا خطاب وطنى ملهم دينيًا من فالويل والذى قوبل بحماس وحظى بشكل ثابت بالتغطية الإخبارية فى الصفحة الأولى فى الجرائد المحلية.

وهكذا حصد فالويل بالفعل صورة أصيلة للاستقامة الدينية والمواطنة الوطنية الحقيقية. وعندما قام بزيارة الكنائس عبر البلاد لحث وتعبئة رعاة الكنائس للمشاركة الإيجابية فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠م، لم يكن يرى كسياسى يحاول أن يتاجر بالأصوات مقابل وعوده، ولكن بدلاً من ذلك قدم نفسه إليهم «كنافذة من الفرص». ترى ما نوع تلك الفرصة؟. لقد كانت الفرصة، كما قيل للناخبين، أنهم إذا

ما قاموا بشكل إيجابى بمساندة البرنامج الانتخابى ومرشح الأغلبية الأخلاقية، فإنهم سيضعون أمريكا مرة أخرى فى مسيرتها نحو قدرها كدولة عظمى فى العالم، حيث ستكون مثالاً يُحتذى به ليس فقط بسبب التقدم الاقتصادى والعلمى والتكنولوچى، ولكن أيضا كأمة صحية أخلاقيًا ومستقيمة دينيًا. «أمضى جيرى فالويل وخلال الوقت المتبقى من عامى ١٩٧٩، و١٩٨٠م، وبالتأكيد لسنوات عديدة تالية معظم وقته فى الطرق مسافرًا، قاطعًا نحو ٣٠٠,٠٠٠ ميل كل عام، غالبًا ما يتحدث مرات عديدة فى اليوم الواحد فى الكنائس، والتجمعات العامة، والمآدب الصغيرة وموائد العشاء، والمؤتمرات الصحفية، وعقد مقابلات منفردة مع شبكة الأفراد الذين كانوا يقدمون المساعدة لإقامة أفرع محلية للأغلبية الأخلاقية عبر البلاد»[١٨٨].

إن أمريكا بلاد شديدة الاتساع، ولكن على الرغم من هذا السفر المنتظم، كان فالويل يحرص على أن يعود كل أحد إلى ڤيرچينيا لكنيسته المعمدانية توماس رود لإلقاء موعظته. ولكى يقوم بجمع التبرعات للأغلبية الأخلاقية، استخدم فالويل القائمة البريدية التى تحوى أسماء ٢٥٠,٠٠٠ من المانحين لبرنامجه الكهنوتى «ساعة من إنجيل الزمن القديم». كانت التكاليف المتوقعة للأغلبية الأخلاقية فى عامها الأول ٣ ملايين دولار، وثلث هذا المبلغ تم جمعه فى الشهر الأول فقط. وصلت عضوية المنظمة بعد عام واحد من تأسيسه، ومع منتصف عام ١٩٨٠م، إلى ٣٠٠,٠٠٠ عضواً وكان من بينهم ٧٠,٠٠٠ من القساوسة[١٨٩]. ركزت منظمة الصوت المسيحى غالبًا على الغرب والجنوب الغربى، حيث قامت بجمع حوالى ٥٠٠,٠٠٠ دولار للمرشحين المحافظين[١٩٠]. لم يمر النشاط السياسى على مستوى القاعدة الشعبية دون ملاحظة من قبل وسائل الإعلام المحلية. «افترضت جريدة النيويورك تايمز أن فالويل (قد خلق شيئًا مشابها للغاية بحزب سياسى)»[١٩١]. جذبت الروح المعنوية والحماس اللذين عبأت بهما الأغلبية الأخلاقية الأصوليين، انتباه يوإس نيوز والوورلد ريپورت حينما كتبت «حرب سياسية مقدسة غير مسبوقة... على أشدها فى جميع أرجاء البلاد»[١٩٢]. كان الأصوليون غير سعداء بالمرة بشخصية كارتر، لدرجة أنه فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠م، لم يظهروا معارضتهم له فقط ولكنهم كانوا يحاولون إيذائه بكل الطرق الممكنة. طلب فالويل فى اجتماع على مائدة الإفطار مع

الرئيس فى يناير ١٩٨٠م، من البيت الأبيض الإذن بتسجيل نقاشه مع كارتر. لقد منح الإذن بذلك، ولكن فى ذات الوقت قام أحد أعضاء فريق العمل بالبيت الأبيض بتسجيل الحديث ذاته بين فالويل والرئيس. «وفى وقت ليس ببعيد بعد ذلك الحدث، وفى تجمع حاشد للأغلبية الأخلاقية فى ألاسكا، أخبر فالويل الجمهور العريض: كنت فى البيت الأبيض منذ وقت ليس ببعيد وسألت الرئيس، سيدى، أريد أن أعرف السبب وراء تعيين موظفين كبار من الشواذ جنسيًا فى البيت الأبيض؟ أجابه كارتر أنه طالما أراد أن يمثل الجميع، فإن عليه أن يعين بعض الشواذ. إن هذه القصة قد أحدثت بشكل واضح رد الفعل الذى أراده فالويل فى ألاسكا، وبالتالى قام بنشره فى التقرير الذى يصدر عن الأغلبية الأخلاقية. إن المشكلة هى أن هذا الحوار لم يحدث مطلقًا[١٩٣]. وحينما واجهه كبار الصحفيين بالدليل، حاول فالويل أن يعتذر عن فعله بتشخيص ما قاله بوصفه «رمزًا»، وهو ما أطلق عليه المعمدانى الجنوبى جيمس دن: اسم جديد للكذبة»[١٩٤]. قام الجمهوريون فى انتخابات عام ١٩٨٠م، بترشيح رونالد ريجان، بينما كان المرشح الديمقراطى هو الرئيس كارتر فى ذلك الوقت. وفى مؤتمر الحزب الجمهورى فى يوليو ١٩٨٠م سيطرت الأجندة الأصولية على برنامج الحزب حيث[١٩٥]:

١ ـ سحبت مساندتها الطويلة الأمد لتعديل الحقوق المتساوية، على الرغم من عدم الموافقة الصريحة من قبل الكثيرين فى مؤسسة الحزب.

٢ ـ دعمت تعديلاً دستوريًا لإعلان عدم قانونية الإجهاض.

٣ ـ أوصت بأن يخضع التوظيف فى منصب القضاء لموقف المرشحين المعارض للإجهاض.

٤ ـ دعت إلى تنحى الرئيسة المساعدة للحزب مارى كريسپ بسبب موقفها المناصر لتعديل الحقوق المتساوية.

لقد كان ذلك انتصارًا كبيرًا للأصوليين المسيحيين حيث لم يكن لهم السيادة فقط فى كتابة البرنامج الانتخابى للحزب، ولكنهم أيضًا استطاعوا بنجاح مطاردة العناصر الليبرالية فى الحزب وأدخلوا بدلاً منهم الملتزمين بآرائهم. وبشكل مناقض للجمهوريين، أشار البرنامج الانتخابى للحزب الديمقراطى للقضايا الأسرية فى جملة

واحدة فقط، حيث تعهد بمساندة «الجهود الرامية إلى جعل البرامج الفيدرالية برامج أكثر حساسية لاحتياجات الأسرة، بكل أشكالها المتنوعة»[١٩٦]. وحتى هذه العبارة «الأسرة فى كل أشكالها المتنوعة» كانت تشمل الشواذ جنسيًا والأسر التى يعولها أحد الوالدين فقط.

انتصار ريجان عام ١٩٨٠م والأجندة الأصولية

١ ـ أظهرت نتائج الانتخابات أن حالة الاشتراك الفعلى فى الحرب قد نجحت كاستراتيجية، حيث إن السود وذوى الأصول الإسبانية فقط هم الذين ساندوا الحزب الديمقراطى. بخلاف ذلك، فإن، كل التجمعات التقليدية للأصوات الانتخابية فى الحزب الديمقراطى، قد تحولت نسبة كبيرة منها إلى الحزب الجمهورى[١٩٧].

٢ ـ أسست نتائج الانتخابات ـ بلا شك ـ لحقيقة أن «المشاركة الفعلية فى الحرب» قد عملت بشكل مؤثر بالفعل لصالح الجمهوريين. لقد ساعد الكاثوليك فى مناطق مثل دوبوك وأيوا، فى انتخاب المرشح الإيفانجليكى تشارلز جراسلى، وانتخب الإيفانجليكيون فى مناطق مثل موبايل الكاثوليكى چيرمایاه (أرميا) دنتون. لقد كان هناك إدراك واضح فى الصحافة أن الإيفانجليكيين قد أثروا حتمًا على الانتخابات. منح فالويل أيضًا الفضل وراء الفوز بتلك الانتخابات، حيث أطلق على المعركة الانتخابية تلك « أنقى أوقاتى »[١٩٨].

٣ ـ كان أحد العوامل المهمة المسببة فى هزيمة كارتر هو الركود والتضخم[١٩٩]. ولهذا، فبعد فوز ريجان بانتخابات ١٩٨٠م، كان الاقتصاد هو الأولوية الفورية له ولفريقه. بعد الانتخابات بوقت قصير، أعلن ريجان وزعيم أغلبية مجلس الشيوخ هوارد بيكر أن التفكير الجاد فى «الأجندة الاجتماعية» سيتم تأجيله لمدة عام على الأقل، لإعطاء الإدارة الجديدة الوقت للتركيز على تحقيق الانتعاش الاقتصادى[٢٠٠]. لم يكن انشغال القيادة السياسية بالاقتصاد أمرًا مبشرًا بالنسبة للأصوليين، وفى الحال نشرت الواشنطن پوست موضوعًا قال فيه مايكل ديفر نائب رئيس فريق البيت الأبيض، مشيرا إلى اليمين المتدين، «سنرحب بهم فى البيت الأبيض، ولكن عليهم أن يأتوا من الباب الخلفى»[٢٠١]. وحينما أعلم فالويل ريجان بهذه الواقعة، أكد له ريجان

أنه ليس هناك مثل هذا التمييز، وأن فالويل سيظل مرحبًا به دومًا فى بيت ريجان الأبيض. لقد كانت رئاسة ريجان التجربة الأولى على الإطلاق فى الانهماك فى نشاط سياسى بالنسبة للأصوليين. إلا أنه على الرغم من إسهامهم فى نجاحه، فإنهم لم يستطيعوا تغيير الوضع الراهن فيما يتعلق بأجندتهم المحلية (الصلاة فى المدارس، والشواذ جنسيًا، والإجهاض). فى الحقيقة تسبب ريجان فى إزعاج الأصوليين بتعيينه قاضية أريزونا سندرا داى أوكونور فى المحكمة العليا للولايات المتحدة؛ لأنها كانت مساندة قوية لتعديل الحقوق المتساوية ومؤيدة لحق الاختيار (أى اختيار للمرأة للإجهاض أو وضع الطفل)[٢٠٢]. على الرغم من ذلك، وتحت ضغط الأصوليين أصبح ريجان «.. الرئيس الأمريكى الأول الذى يصدق على تعديل خاص بالصلاة فى المدارس»[٢٠٣]. إجمالاً كان الأصوليون سعداء برئاسة ريجان حينما اتخذ عددًا من المواقف الشجاعة فى القضايا الخاصة بالسياسة الخارجية[٢٠٤]، مثل القضايا التالية:

١ ـ عارض الشيوعية وأعلن أن الاتحاد السوفييتى هو «إمبراطورية الشر».

٢ ـ قام بتدعيم المقاومة الأفغانية ضد الغزو السوفييتى لأفغانستان(*) بدلاً من تبنيه سياسة الانفراج.

٣ ـ قام بزيادة مصاريف الدفاع لصالح مبادرة الدفاع الاستراتيجية.

٤ ـ قام بتخفيض الضرائب، الأمر الذى كان يعنى أموالاً أقل لدولة الرفاهة، وبالتالى أموالاً أقل للمدارس العامة.

٥ ـ أرسلت إدارته قوات أمريكية لغزو جزيرة جرينادا الكاريبية فى أكتوبر عام ١٩٨٢م لقلب نظام الحكم الموالى للنظام الماركسى هناك.

حققت الحملة الانتخابية لعام ١٩٨٨م علامة مميزة جديدة فى تسييس المسيحية فى أمريكا المعاصرة. فى هذه الحملة، شن پات روبرتسون الواعظ ذو الشعبية الكبيرة الإيڤانجليكى الذى يقدم صلواته عبر التليفزيون، حملة لنيل الرئاسة متحديا نائب الرئيس چورچ بوش فى الفوز بترشيح الحزب الجمهورى له. لقد نجح أيضًا فى التفوق على نائب الرئيس فى نتيجة الاقتراع فى بداية العام فى المؤتمر الحزبى لاختيار المرشحين

(*) وهنا كانت بداية طالبان وأسامة بن لادن ـ المترجمة.

فى ولاية أيوا[٢٠٥]. على الرغم من فشل محاولة روبرتسون فى الحصول على ترشيح الحزب له، فقد قوى ذلك من شأن السياسات الأصولية بطرق عديدة، على سبيل المثال:

١ ـ لكونه واعظًا على درجة كبيرة من الأهمية، فإن ترشيحه قد أعطى ثقة جديدة لهؤلاء الأصوليين الذين جادلوا ضد الفصل بين الكنيسة والدولة.

٢ ـ أشعل ذلك حماس المجتمع الأصولى برمته، بما فيهم هؤلاء الذين لم يشاركوا قط كناخبين.

٣ ـ أدى ذلك لتأسيس التحالف المسيحى عام ١٩٨٩م والذى أصبح منظمة أصولية مهمة للنشطاء الاجتماعيين.

كانت فترة حكم ريجان ـ بوش التى امتدت إلى اثنى عشر عامًا (١٩٨٠-١٩٩٢م) بمثابة مرحلة تعلم بالنسبة للأصوليين. لقد أدركوا أن مجرد الإتيان برئيس منتخب للبيت الأبيض ليس بأمر كاف. لقد كان من المهم ـ بشكل مساو أيضًا ـ فهم كيفية عمل الكونجرس؛ لأنه فى نهاية الأمر، يصوِّت أعضاء الكونجرس على القوانين، وإذا لم يحصل قانون ما على أغلبية الأصوات المطلوبة، فإنه لا يكون له فائدة. لقد علموا أن أعضاء الكونجرس لم يصوتوا على أساس «الصواب» و«الخطأ». على العكس من ذلك، كانت معاييرهم محدودة جدًا. كان همهم الوحيد هو الفوز بالانتخابات القادمة. ولهذا فقد صوتوا بطريقة تجعل الجزء الأكبر من الناخبين النشطاء سعداء بهم، حتى لو كان ذلك يعنى التصويت لشىء ما قد يكون غير صائب من الناحية الأخلاقية. يقتبس ويليام مارتن قول الأصولية كونى مارشير، التى توصلت أخيرًا لفهم معايير التصويت فى الكونجرس الأمريكى تحت تهليل الديمقراطية الأمريكية المزعومة «إنهم لم يدركوا درجة فساد السياسيين (الذين يصنعون) القرارات بشأن كيفية قيامهم بالتصويت على أساس (من سيقوم بممارسة ضغط أكبر علىّ؟ من الذى يمكنه أن يتسبب فى أكثر المتاعب فى حملة إعادة انتخابى؟ أكثر من التفكير فى (ماالأمر الذى أعتقد أنه صائب؟) إن قيادة شخص ما نحو الخلاص أمر مختلف للغاية عن قيادته لكى يصوت بطريقتك. إنك لا تقودهم، بل تقوم بإجبارهم»[٢٠٦].

خلال هذه المدة، كان الأصوليون قادرين أحيانًا على دفع بعض مشروعات القوانين الخاصة بقضايا الأسرة إلى ساحة الكونجرس، مدركين أنهم سيهزمون. كانت هناك أغراض متعددة من وراء ذلك التحرك. أولاً: أن ممارسة عرض مشروعات القوانين على الكونجرس كانت تعنى تدريب الأصوليين النشطين على جهود وأساليب الضغط فى الكونجرس. ثانيًا: أن بعض مشروعات القوانين كانت قد صممت بشكل متعمد لكى تكون متطرفة، حتى لا يقوم العديد من الليبراليين والمعتدلين بالتصويت لصالحها، وبالتالى إشعال غضب الإيڤانجليكيين المتعاطفين مع الأصوليين، والذين ليسوا نشيطين. قد تؤدى تلك الهزائم المتكررة إلى مساهمة هؤلاء المتعاطفين فى شكل أموال أو رجال. ثالثًا: أن الكثير من الناخبين، وبشكل خاص المعمدانيين الجنوبيين، كانوا ديمقراطيين تقليديا ولكنهم اختاروا منح صوتهم لريجان بسبب دعمهم للقضايا الراديكالية. والآن أصبح من الضرورى إبقاؤهم فى الحزب الجمهورى، وتم إنجاز ذلك من خلال جعلهم يشعرون بألم الهزيمة، تعميق التزامهم بالقضية، وإجبارهم على البقاء فى الحزب بوصفه «جيش الله».

وهناك هدف آخر من جلب القوانين المتطرفة إلى الساحة وهو فرز أعضاء الكونجرس الذين لا يتفقون مع الموقف الأصولى فى بعض القضايا وصوتوا ضدها. وبمجرد تحديد هؤلاء الأعضاء، فإنه يمكن استهدافهم عند محاولتهم لإعادة الانتخاب، ويمكن بذلك بذل جهود أكبر لهزيمتهم، وبالتالى إرسال إشارات لأعضاء آخرين تفيد بأنه فى حال قيامهم بالتصويت ضد القضايا الأصولية، فإن عملهم السياسى سيصل إلى نهاية غير متوقعة. ومع نهاية الفترة الرئاسية الثانية لريجان، كان البيت الأبيض يغوص فى مستنقع فضيحة إيران كونترا، ولكن الضابط المتورط فى الفضيحة، الكولونيل أوليڤر نورث، أصبح بطلاً بالنسبة للأصوليين.

فى عام ١٩٩٢م، انتخب كلينتون، وهو ليبرالى، كرئيس لأن الاقتصاد فى وقت الانتخابات، كان فى حالة سيئة بسبب الركود. على الرغم من أن الرئيس بوش كان متفوقًا فى صناديق الاقتراع الشعبية فى عام ١٩٩١م عند هزيمة صدام حسين، فإن الركود قد حل بالبلاد مع وقت الانتخابات، وأراد الناس التغيير، ولهذا فاز كلينتون بالبيت الأبيض، حيث إنه جعل من الاقتصاد قضيته المهمة. وهناك نقطة مهمة أخرى

تسترعى الانتباه فى عام انتخابات ١٩٩٢م، وهى محاولة التلى إيفانجليكى بات روبرتسون داعية التليفزيون الإيفانجليكى للوصول لترشيح الحزب الجمهورى لمنصب الرئيس. لقد ألهبت تلك الحملة حماس الملايين من الأصوليين، وأسست التحالف المسيحى والذى قاده رالف ريد لتجميع الناخبين والدولارات دعمًا لروبرتسون. جعل الخوف من الركود، وعدم مقدرة الرئيس بوش على التعامل مع مشكلة الركود بكفاءة فى الوقت المناسب، حتى الإيفانجليكيين الجنوبيين يصوتون لصالح كلينتون. وكنتيجة لذلك، فاز كلينتون بأغلبية الأصوات فى الولايات الجنوبية. على الرغم من أن كلينتون كان ليبراليًا، فإن ليبراليته قد اختبرت كما ينبغى من قبل الأصوليين عند بداية فترته الانتخابية الأولى. فخلال الشهر الأول من رئاسته، أعلن البيت الأبيض لكلينتون أنه «... فى المستقبل لن يُفصل بعد أى من الشواذ من الجيش»[٢٠٧]. لقد أظهر الكونجرس، الپنتاجون، والأصوليون معارضة قوية لهذا الاقتراح، لدرجة أن البيت الأبيض تراجع عن هذه السياسة إلى حل وسط على أساس مبدأ «لا تسأل، لا تخبر أحدًا»[٢٠٨]. لقد سددت القوى المحافظة أيضًا ضربة موجعة لخطة الرعاية الصحية التى طرحها كلينتون، وكانت قد أعدتها السيدة الأولى هيلارى كلينتون. فى القضايا الاجتماعية، فاق دهاء كلينتون الجمهوريين والأصوليين الذين كانوا يضعون اللوم دومًا على الليبراليين فيما يتعلق بقضية ازدياد معدل الجريمة. اقترح كلينتون تشريع للجريمة من شأنه أن يضع ١٠٠,٠٠٠ رجل شرطة فى الشوارع، حظر بيع تسعة عشر نوعًا من الأسلحة الهجومية المختلفة، وتمويل بناء سجون جديدة. (وأجاز قبل ذلك قانون برادى، والذى أسس مبدأ فترة انتظار لمدة خمسة أيام قبل شراء بندقية يد)[٢٠٩]».

شهدت الانتخابات النصفية للكونجرس عام ١٩٩٤م انتصارًا ساحقًا للجمهوريين، حيث أعطتهم أغلبية فى كلّ من مجلس النواب ومجلس الشيوخ للمرة الأولى منذ عام ١٩٥٢م. بدأ نيوت جنجريتش المتحدث الجمهورى الجديد للمجلس التشريعى بممارسة الضغوط على البيت الأبيض من خلال تطوير برنامج لإصلاح الحكومة الفدرالية أطلق عليه «عقد مع أمريكا»[٢١٠]. كان تخفيض الضرائب اختزال سياسة الرفاهية (البرامج الاجتماعية) هو المكون المهم للعقد مع أمريكا. لقد أيد الأصوليون أيضًا هذا العقد حيث إنهم أرادوا تخفيضًا فى عبء الضرائب على الأسر، وأن ينقل العمل الخاص بالخدمة الاجتماعية إلى المنظمات الخيرية الخاصة من خلال تخفيض

النفقات الخاصة بالعمل الاجتماعى[٢١١]. وبسبب هذا الالتقاء فى المصالح، أعلن رالف ريد «العقد مع الأسرة الأمريكية»[٢١٢]، والذى جمعت من خلاله منظمة اليمين المسيحى الدعم لعقد جنجريتش مع أمريكا. لقد أجبر ذلك كلينتون على التخلى عن موقفه الليبرالى، واتخاذ موقف وسط بدلاً من ذلك فى عدد من القضايا.

رئاسة بوش عام ٢٠٠٠م: ألفية جديدة وسياسات جديدة

كانت الأعوام الثمانية لإدارة كلينتون-جور(١٩٩٢-٢٠٠٠م) فترة من الاستقرار الاقتصادى الملحوظ وتحقيق معدلات النمو المرتفعة وانخفاض البطالة والتضخم فى الاقتصاد الأمريكى، بالإضافة إلى السلام الداخلى وقوة الولايات المتحدة عالميًا التى لا يمكن تحديها. فى ظل مثل هذه الظروف، كان ينبغى لجور أن ينتصر انتصاراً ساحقًا على چورچ د. بوش، ولكن فى الواقع لم يكن جور قادراً قط على التفوق بشكل مقنع على بوش خلال الحملة الانتخابية برمتها. أخيرًا، أصبح بوش محققا لعدد أصوات مقارب جدًا، لدرجة أنه كان على مسافة شعرة لتحقيق الفوز القاضى على جور، وهو ما حدث بالفعل.

السؤال المطروح هنا هو لماذا لم يمنح الناخبون جور الفوز الحاسم على بوش، على الرغم من الازدهار الاقتصادى وفرص العمالة الكاملة، والازدهار العام؟ تكمن الإجابة فى الخريطة الأيديولوچية الجديدة للولايات المتحدة. لقد فاز بوش بمعظم الولايات الجنوبية، التى تشكل حزام الكتاب المقدس للبلاد ومركز الإيڤانجليكية. الجنوب هو قلب الأصولية المسيحية. للمرء أن يندهش لدى رؤية خسارة جور فى ولايته الأم تينيسى. تعرف تينيسى شعبيًا لميلها الشديد نحو الأيديولوچية اليمينية، بأنها «الحلية المعدنية القديمة (أو العروة الوثقى) لحزام الكتاب المقدس»[٢١٣]، كما إن ولاية تينيسى هى أيضًا الموطن الأم لإيد ماكاتير، مؤسس حركة المائدة الدينية المستديرة[٢١٤]. صوّت الأصوليون فى عام ١٩٩٢م فى الجنوب لكلينتون لأن بوش الأب لم يف فقط بوعوده، ليس فقط حينما قام بزيادة الضرائب ولكنه فشل أيضًا فى تحفيز الاقتصاد وهو فى حالة الركود.

كان الاقتصاد يسير بشكل جيد ولكن كلينتون كان قد اكتسب سمعة سيئة بسبب تورطه فى فضيحة مونيكا لوينسكى. وقبل ذلك، أشيع أن كلينتون كانت له علاقة بجنيفر فلاور حينما كان محافظًا لأركانسو. لقد أشيع أيضًا أن هناك بعض الفضائح المالية الأخرى التى تورط فيها كلينتون والتى أطلق عليها «فضيحة وايتووتر». تضاعفت كل تلك العوائق بسرعة، مما أدى إلى قيام الإيڤانجليكيين استلهامًا بالقيم الدينية والأخلاقية بانتخاب بوش. ركز معظم هؤلاء الناخبين على الجنوب وامتداداته[٢١٦]. فى النهاية كان الناخبون الجنوبيون (أى الإيڤانجليكيون) هم الذين لعبوا دورًا كبيرًا فى الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام ٢٠٠٠م، وبرزوا كقوة سياسية عظيمة النفوذ. طبقا للدستور الأمريكى، على الرغم من تصويت الشعب فى الانتخابات الرئاسية، الصوت الانتخابى وليس الصوت الشعبى هو الذى يحدد الفائز النهائى. كل ولاية مخصص لها عدد من الأصوات الانتخابية، والعدد الإجمالى للأصوات الانتخابية فى الولايات المتحدة هو ٥٣٨، وفى السباق الرئاسى الثنائى يفوز المرشح الذى يحظى بـ ٢٧٠ صوت انتخابى منها برئاسة الولايات المتحدة[٢١٧]. والجدير بالملاحظة أنه فى انتخابات عام ١٩٩٢م فاز كلينتون بـ ٣٧٠ صوت انتخابى، وفاز بفترته الرئاسية الثانية عام ١٩٩٦م بـ ٣٧٩ صوت انتخابى من خلال الفوز بـ ٣١ ولاية، بالإضافة إلى مقاطعة كولومبيا (واشنطن دى سى)[٢١٨]. وفى انتخابات عام ٢٠٠٠م، استطاع جور الفوز بعشرين ولاية فقط، بالإضافة إلى واشنطون دى. سى. خسر جور الولايات الإحدى عشرة الأخرى لصالح بوش والتى كان كلينتون قد وضعها فى جيبه إبان إعادة انتخابه عام ١٩٩٦م. تلك الولايات الإحدى عشرة هى: أريزونا (٨)، أركانسو (٦)، فلوريدا (٢٥)، كنتاكى (٨)، لويزيانا (٩)، ميسورى (١١)، نيڤادا (٤)، نيوهامپشير (٤)، أوهايو (٢١)، ويست ڤيرجينيا (٥) والولاية الأم للسيد جور تينيسى (١١). تظهر الأرقام التى بين الأقواس عدد الأصوات الانتخابية الخاصة بكل ولاية. يصل العدد الإجمالى للأصوات الانتخابية لكل تلك الولايات الإحدى عشرة إلى ١١٢ صوت. وفيما عدا نيوهامپشير، والتى تقع فى الشمال الشرقى، فإن كل الولايات العشر المتبقية تقع فى الجنوب غرب الوسط للولايات المتحدة. إن تلك الولايات العشر محافظة تقليديًا، وتقع إما فى نطاق حزام الكتاب المقدس أو أقاليم حزام الشمس للبلاد. تلك الأقاليم هى محافظة تقليديًا

ومنطقة حزام الكتاب المقدس هو قلب الأصولية والپروتستانتية الإيڤانجليكية. لسكان تلك الأقاليم لهم توجهات أسرية ويؤمنون بقوة بالقيم التقليدية والشخصية الأخلاقية.

طبقا لأحد التقارير، صوّت ٥٦٪ من الپروتستانت فى انتخابات عام ٢٠٠٠م لصالح بوش، بينما صوّت ٤٢٪ فقط لصالح جور[٢١٩].

بدأت حركة الإحياء المسيحية[*] فى الولايات المتحدة فى سبعينيات القرن العشرين بسبب المشاكل التى خلقتها المادية وإطلاق العنان للرأسمالية والعلمانية وفساد القادة السياسيين وسوء استغلالهم للسلطة. لقد أعلنت الإحيائية عن نفسها بأشكال كثيرة ـ الجماعات الدينية، الإيمانات الزائفة، بالإضافة إلى نشوء جماعات عنصرية تابعة للجناح اليمينى وارتفاع نجم المسيحية الإيڤانجليكية. وبين كل هؤلاء، كانت المسيحية الإيڤانجليكية هى القوة الاجتماعية والسياسية الأسرع صعوداً. وكما كتب المؤرخ الأمريكى آلان برنكلى عام ٢٠٠٠م: «يصف أكثر من ٧٠ مليون أمريكى الآن أنفسهم كمسيحيين (ولدوا من جديد) ـ لقد أسسوا رجال ونساء (علاقة شخصية مباشرة مع المسيح). امتلك المسيحيون الإيڤانجليكيون جرائدهم الخاصة، مجلاتهم، محطاتهم الإذاعية وشبكات التليفزيون الخاصة بهم. كما قاموا بإدارة مدارسهم وجامعاتهم الخاصة»[٢٢٠].

لن يكون من المبالغة القول بأن الأصولية المسيحية، مع نهاية القرن العشرين، قد ظهرت كقوة ضخمة فى المشهد السياسى الأمريكى، وأنه لا يمكن لحزب سياسى، سواء كان الحزب الجمهورى أو الديمقراطى، أن يحقق أى تقدم ذى مغزى فى الانتخابات دون الحصول على موافقتهم. لقد سعى المرشح الرئاسى چورچ بوش الابن فى محاولته للحصول على ترشيح الحزب الجمهورى له، إلى تطوير موقف معتدل يمينى وسطى للفوز بمساندة المدى الأوسع من المجتمع الأمريكى. وبوضع هذا الهدف نصب أعينه، أظهر بوش علانية موقف يمينى متطرف فى العديد من القضايا القريبة من قلوب الأصوليين. لقد خبر نفوذ الأصوليين بشكل مباشر فى حملة والده عام ١٩٨٨م للفترة الرئاسية الثانية، والتى عمل فيها هو نفسه «.. كهمزة وصل مع اليمين المتدين»[٢٢١]. أقنعته هذه التجربة أن طرق والده لم تفلح مع اليمين المتدين[٢٢٢].

(*) فى الواقع تلك هى حركة الإحياء الدينى الثالثة فى تاريخ الولايات المتحدة ـ المترجمة.

كانت النتيجة أن حملة بوش قد احتفظت، على الرغم من وضعها العام المعتدل، بروابط مع الأصوليين، عبر الخطابات والرسائل الإلكترونية[٢٢٣]. على الرغم من ذلك، حينما خسر بوش نيوهامپشير فى الانتخابات الأولية للحزب الجمهورى لصالح متحديه جون ماكين، لم يضيع الوقت فى طمأنة الأصوليين على ولائه لهم والتزامه بقضاياهم ووجهة نظرهم من أجل بث تلك الطمأنينة والفوز فى المقابل بدعمهم الكامل «.. قام بوش بزيارته الشهيرة لجامعة بوب چونز فى جنوب كارولينا، الجامعة المعروفة بأصوليتها المتطرفة وموقفها الرسمى المعادى للكاثوليكية الرومانية. تميز الاستراتيچيون بالتعامل بشكل مبهم فى العلن، غير معبرين عن أسفهم فيما وراء المشهد. قال أحد الموظفين الكبار الذين كانوا يعملون تحت إمرة بوش فى ذلك الوقت: كان علينا أن نرسل رسالة ـ سريعة ـ إرسالنا له هناك هى الطريقة الوحيدة لفعل ذلك. تم إنجاز الصفقة بشكل نهائى، فقد تدفق الصوت الانتخابى للأصوليين كالفيضان فى صناديق الاقتراع فى الجنوب لصالح المتنافس الجمهورى. كان بوش هوالفائز فى النهاية. فى ظل إدارة چورج بوش الابن «شكّل المسيحيون الأصوليون جوهر الحزب الجمهورى، الذى يتحكم فى كل مصدر القوة للمرة الأولى منذ نصف قرن»[٢٢٥].

تنتشر جماعات صلوات الكتاب المقدس الآن على نطاق واسع فى البيت الأبيض. «إن المناخ بداخل البيت الأبيض، كما يقول العاملون به، يفيض بعبير الصلاة»[٢٢٦].

فى انتخابات عام ٢٠٠٠م التى شهدت تنافسًا حامى الوطيس، صعد بوش إلى البيت الأبيض على أكتاف الأصوليين المسيحيين الذين كانت لهم أجندة قائمة على أساس المعتقد الدينى. لقد تطلبت السياسة والمبادئ، وقبل كل شىء الحصافة، أن يقوم بوش بتقديم ما سيتم تقديره بشكل جديد. وبأخذ نتائج انتخابات عام ٢٠٠٠م فى عين الاعتبار، والتى شهدت انقسام الأمة التام إلى نصفين، لن يقوى چورج بوش الابن على أن يكون نسخة أخرى من كارتر أو ريجان، وذلك فيما يخص الوفاء بالأجندة الأصولية سواء فى الشئون المحلية أو السياسة الخارجية. كان يعلم أنه مع مجىء نوفمبر ٢٠٠٤م، سيصدر الأصوليون حكمهم عليه على أساس مستواه فى «كروت التقييم حسب الكتاب المقدس»، ولا شك أنه سيحصل، بالنظر إلى أدائه فى فترة الرئاسة الأولى، على درجة A، إن لم تكن + A، فى كل المهام الموكلة إليه.

حيث إن الولايات المتحدة هى القوة العظمى الوحيدة فى العالم المعاصر، وأن هذا هو عصر العولمة، على الدول التى لها مصالح استراتيچية متعلقة بسياسات الولايات المتحدة أن تفهم هذه السياسات الجديدة والرؤية التى تثيرها فى واشنطن. ستدفع الدول التى تتجاهل هذه الحقيقة ـ وتتعامل مع البيت الأبيض والكونجرس والشعب فى إطار الخريطة القديمة ـ ثمنًا غاليا لهذا التجاهل.

* * *